الحواضر والمدن في بلاد المغرب القديم

المحاضرة 03: التوسع العمراني للرومان في المغرب القديم

تتّفق الكتابات التاريخية الغربية الممجدة للحضارة الرومانية على أنه كان لتلك الحضارة تأثير عميق في منطقة شمال إفريقيا، ومن أهم المظاهر التي استندوا إليها ظاهرة التوسّع العمراني من خلال الانتشار الكثيف للآثار الرومانية في المنطقة، خاصة المدن بنوعيها: العسكرية والمدنية، كونها الوعاء العام للتنظيم الحضري.

نشير الى ان انتشار **المراكز الحضرية الرومانية** في نوميديا مرتبط ارتباط وثيق بمجموعة من المعايير ابرزها الاهمية العسكرية، حيث نجد ان أولى المراكز التي أسسها الرومان في نوميديا كانت عبارة عن مستوطنات ضمت الجنود الذين كانوا مكلفيهن بفتح المقاطعة، اذ ان الكثير من هذه المراكز الرومانية على حد قول الدكتور منير بوشناقي من خلال الدكتور خالد محفوظ كانت في بدايتها معسكرات و حصون لتتحول فيما بعد الى مدن هامة بمصاف مستعمرات و بلديات، فظهرت الساحلية التجارية مثل عنابة **(Hippone)** ، سكيكدة **(Rusicada)**، بجاية**(Saldae)**، و الداخلية الريفية مثل عنونة **(Thibilis)**، خميسة **(Numidarum Thuburisicu)**، ماوروش**(Mador)**، والداخلية العسكرية مثل لمبيز تيمقاد**(Thamugadi)** وجميلة**(Cuicul)**، و لان المناطق الداخلية كانت بؤرة المقاومة ضد التغلغل الروماني، وعليه اسس الرومان مراكز استراتيجية واقعة في منافذ طبيعية بين سلاسل جبلية لمراقبة تحركات السكان المحليون كما كان الحال مع مدينة تيمقاد التي تحدثت عنها المصادر المادية على انه في عام 100 م امر الامبراطور ترايانوس ببناء مدينة جديدة بالقرب من مركز روماني للمراقبة.

تجدر الإشارة إلى أن أغلب المدن الرومانية التي انتشرت في نوميديا كانت في

الاصل نوميدية اخضعت للأنظمة الرومانية ، حيث تصرفت فيها من خلال وضع مجموعة من مراكز حضرية بصيغ قانونية و ادارية متباينة استنادا الى اعتبارات عسكرية – امنية و اقتصادية – اجتماعية ، حيث تظهر في بعض جوانب هذه المدن مظاهر الامتزاج الحضاري النوميدي – الروماني ، و انها شيدت على مراكز و مدن قد تعرضت للتدمير و التخريب، خاصة و ان المصادر تتحدث عن حوالي خمسون مدينة تحت ادارة الملك ماسينيسا.

تؤكد الدراسات الاثرية و التاريخية وجود المدن العسكرية الحديثة النشأة(**les villes garnisons**)، بل كثر الحديث عنها خاصة خلال حكم الامبراطور **سيبتيموس سيفيروس**، كما عرفت ارتفاع وتيرة اعتماد مرافق عامة على شاكلة المدن العسكرية اذ عثر داخل هذه المدن العسكرية على مرافق عمومية كالحمامات و المحلات بالإضافة الى مباني اخرى كالكنائس، و الملاحظ ان هذه العناصر كانت غائبة في معسكرات و حصون اخرى. و سبب التطور كان سببه طول مدة الخدمة العسكرية و لتفادي إحساس الجنود بانفصالهم عن الحياة المدنية بالإضافة الى تهيئتها لتصبح بلدية او مستعمرة.

وقد تمركزت هذه المراكز الحضرية في مواقع استراتيجية لغرض أمني، وفي نفس الوقت لعبت هذه المراكز دورا ثانويا تمثّل في جلب التجمعات السكانية حولها، مما أدى إلى ظهور قرى بالقرب من معسكرات الفرق النظامية و

اطلق عيله اسم (**Canabae**) و بالقرب من معسكرات الفرق المساعدة ظهرت مراكز تحت اسم (**Uicili**). اما عن هذا التمييز فهو مرتبط بطبيعة منشآت هذه المراكز و انتماءات قاطنيها و الاكيد هو ان هذه المراكز المحلية كانت تحت انظار الرومان حيث تطورت هذه

المراكز من قرى (Pagi) لتحصّن عمرانيا و إداريا، و هذا يدخل في سياسة المحتشدات من أجل السيطرة على تحركات و نشاطات النوميديين.